﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦﴾ [النساء: 106]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الـدِّفـاع عـمَّـن عُـرِفَـت خيانتُه بمنزلة الذَّنبِ

لمَّا نهى اللهُ رسولَه ﷺ والمؤمنينَ عن الدِّفاعِ عمَّن عُرِفَتْ خيانتُه، والمخاصمةِ من أجلِه؛ بيَّنَ أن أيَّ ميلٍ للخائنين بمنزلةِ الذَّنبِ الَّذي ينبغي الاستغفارُ منه، وأيضًا لمَّا نهى اللهُ تعالى عن إلحاقِ الحَيفِ بالكافر لأجلِ كفرِه، أو لإرضاءِ طرفٍ آخرَ ينتسبُ إلى الإسلامِ؛ بيَّن أنَّ هذا الفعلَ ممَّا ينبغي أنْ يُستغفرَ اللهُ منهُ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ﴾: يدورُ معنى (غفرَ) على تغطيةٍ أو سَتْرٍ يُقصدُ به الحمايةُ وما إليها، والغَفرُ: إلباسُ الشَّيءِ ما يصونُه عنِ الدَّنسِ حمايةً له، وكلُّ شيءٍ سترتَه؛ فقدْ غفرتَهُ، والاستغفارُ: طلبُ ذلك بالمقالِ والفعال، وغفرانُ اللَّهِ الذُّنوبَ: تغطيتُها وسترُها، بأنْ يصونَ العبدَ من أنْ يمسَّه العذابُ[1]، ومعنى ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ﴾ في الآية: استغفرِ اللهَ للمذنبينَ من أمَّتِك والمتخاصمينَ في الباطلِ، لا أن تكونَ ذا جدالٍ عنهُم، أو واستغفرِ اللهَ ممَّا هممتَ به، أو أنْ تكونَ صورةُ الخطابِ للرَّسولِ، والمرادُ كلُّ مؤمنٍ يدافعُ عنِ الخائنينَ[2].

2) ﴿غَفُورٗا﴾: من صيغِ مبالغةِ اسمِ الفاعل، على زِنةِ (فَعُول)، مأخوذٌ من الفعلِ (يَغفِر)، والغَفُور: هو الكثيرِ السَّترِ للذُّنوبِ وإنْ كَثُرَتْ وعَظُمَتْ بأنْ يصونَ العبدَ مِنْ أنْ يمسَّهُ العذابُ إلَّا الشِّركَ باللهِ[3].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (غفر).
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/110، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/57، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/95.
(3) الراغب، المفردات، الفيومي، المصباح المنير: (غفر).

3) ﴿رَّحِيمًا﴾: صيغةُ مبالغةٍ من الفعل (يرحمُ)، ويمكنُ أن يُطلقَ على غيرِه تعالى، وأصلُ الرَّحمةِ: الرِّقَّةُ وَالعَطْفُ وَالرَّأْفَةُ، يُقَالُ: رَحِمَهُ يَرْحَمُهُ؛ إِذَا رَقَّ لَهُ، وَتَعَطَّفَ عَلَيْهِ، وَالرَّحِمُ: عَلَاقَةُ القَرَابَةِ، وتراحَمَ القومُ: رَحِمَ بعضُهم بعضًا، والرَّحْمَةُ رِقَّةٌ تقتضي الإحسانَ إلى المَرْحُوم، وإذا وُصفَ به البارِي؛ فليسَ يرادُ بهِ إلَّا الإحسانُ المجرَّدُ دونَ الرِّقَّةِ، فالرَّحمةُ من اللهِ إنعامٌ وإفضالٌ، ومن الآدميِّينَ رِقَّةٌ وتعطُّفٌ[1]، ومعنى الرَّحيم في الآية: المبالِغُ في رحمته لمنِ استغفرَه[2].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

وظيفةُ القاضي أنْ يسمعَ من المتخاصِمَينِ ويقضي بنحوِ ما يسمعُ

استغفرْ للمذنبينَ من أمَّتِكَ والمتخاصمينَ في الباطلِ، لا أنْ تكونَ ذا جدالٍ عنهم، فمحلُّكَ من النَّاسِ أنْ تسمعَ من المتداعيينَ: وتقضي بنحوِ ما تسمع، وتستغفرُ للمذنبِ، أو المعنى: واستغفرِ اللهَ ممَّا هممتَ به من القضاءِ ببراءةِ مَنْ ليسَ ببريءٍ لظاهرِ الحالِ؛ لأنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ، يغفرُ ذنوبَ التَّائبين ويرحمُهم[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة الهمزة والسّين والتّاء في قولِه: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾:

حروف الزِّيادة بين معنى السُّؤال ومعنى الطَّلب

قولُه تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ تَعبيرٌ فريدٌ لم يَرِدْ على هذه الصُّورةِ إلَّا في هذا المَوضعِ منَ القُرآن الكريم، وتدلُّ أحرفُ الزِّيادةِ هنا على سؤالِ المغفرةِ من اللهِ أو طلبِها، فإذا كان المعنى: واستغفرِ اللهَ للمذنبينَ من أمَّتك؛ فتكونُ أحرفُ الزِّيادةِ على معنى سؤالِ المغفرة، وإذا كان المعنى: واستغفرِ اللهَ ممَّا هممتَ به، فتكونُ أحرفُ الزِّيادةِ على معنى طلبِ المغفرةِ من اللهِ، ولَمَّا كانَ الهمُّ بالشَّيءِ ليسَ بذنبٍ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، الجوهري، الصحاح، والرّاغب، المفردات: (رحم).
(2) المراغي، تفسير المراغي: 5/149.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/110، والبيضاوي، أنوار التّنزيل: 2/95.

حتَّى يستغفرَ منه رسولُ اللَّه؛ لعصمتِه من الذُّنوب والنَّقائص دلَّ على أنَّ طلبَ المغفرةِ هنا لزيادةِ ثوابِه ﷺ ولإرشاده إلى التَّثبُّتِ[1].

دلالة التَّعبيرِ بالاستغفار في قولِه: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾:

عبَّر بالاستغفار دون طلبِ السَّترِ؛ لأنَّ الاستغفار أعمُّ وأشملُ، فإنَّ الاستغفارَ يستلزمُ عدمَ المؤاخذةِ على فعلِ الشَّيءِ، كما أنَّه يشملُ مغفرةَ الذُّنوبِ صغيرِها وكبيرِها، بخلافِ السَّتْرِ الَّذي يدلُّ على تغطيةِ الشَّيء.

الاستغفارُ يستلزمُ عدمَ المؤاخذةِ، ويشملُ مغفرةَ الذُّنوبِ كلِّها

بلاغة الوصلِ في قولِه: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾:

عُطفتْ هذه الجملةُ على ما قبْلَها بالواوِ؛ لكمالِ الاتِّصال بينها وبين قولِه: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾، فجمعَ لمناسبةِ الوصلِ بينَ طلبِ النَّهي وطلبِ الامتثالِ؛ للإيذانِ بأنَّ الذَّبَّ عن الخائنينَ ذنبٌ ينبغي الإقلاعُ عنه والاستغفارُ منه.

الانتصارُ لِلخائنينَ ذنبٌ ينبغي الاستغفارُ منه

دلالةُ توجيهِ الخطابِ في قولِه: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾:

يُحتَملُ أن يكونَ الخطابُ موجَّهًا إلى الرَّسول ﷺ والمعنى كما تقدَّم من أنَّ المرادَ: واستغفرِ اللَّه للمذنبينَ من أمَّتك، أو: واستغفرِ اللَّه ممَّا هممتَ به، ويُحتَملُ أن يكون الخطابُ جاريًا على أسلوب توجيه الخطاب إلى الرَّسول، والمراد بالأمر غيره، فأرشدهم إلى ما هو أنفع لهم، وهو استغفار اللَّه ممَّا اقترفوه[2]، أو أنَّه لم يقصِد مخاطبًا معيَّنًا؛ ليفيدَ العمومَ، وجاء بطريقِ الخطابِ؛ ليكونَ أشدَّ تأثيرًا في المخاطبين، والمرادُ: طلبُ الاستغفارِ مِنْ كلِّ مَنْ يذبُّ عن الخائنين، ويدافعُ عنهم للإيذانِ بعِظمِ معصيتِه.

طلبُ الاستغفارِ مِنْ كلِّ مَنْ يذبُّ عن الخائنين؛ للإيذانِ بعِظمِ معصيتِه

مناسبة إسنادِ الاستغفار إلى الاسم الجليل ﴿ٱللَّهَ﴾:

أُسنِدَ الاستغفارُ إلى الاسمِ الجليلِ ﴿ٱللَّهَ﴾ دونَ أن يقولَ هنا:

(1) الخفاجي، عناية القاضي: 3/346.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 5/193.

استحضارُ مقامِ الألوهيَّة موجبٌ لِاجتنابِ الانتصارِ للخائنين

(واستغفروا ربَّكُم) للإشعار بعظمِ ذنبِ الانتصارِ للخائنينَ والدِّفاعِ عنهم، وأنَّ استحضارَ مقامِ الألوهيَّةِ موجبٌ لاجتنابِه والاستغفارِ منه؛ إنْ وقع.

حسنُ التَّذييل في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾:

1. تصديرُ الجملة الاسميَّة بـ(إنَّ) يدلُّ على أنَّها في مقامِ التَّعليل لما قبلها، للإرشادِ إلى أنَّ سببَ سؤالِ المغفرةِ أو طلبِها، وسببَ قبولِ الاستغفارِ؛ لأنَّ اللهَ كانَ غفورًا رحيمًا.

تأكيدُ اللهِ تعالى قَبولَ توبةِ المُستغفِرينَ

2. أكَّدَ سبحانَه اتِّصافَه تعالى بهاتَيْن الصِّفتَيْن بأربعةِ مُؤكِّداتٍ؛ للإشعارِ بأهمِّيَّتها، أوَّلها: (إنَّ) الَّتي تفيدُ تأكيدَ مضمونِ الجملةِ كلِّها، وثانيها: (كانَ) الَّتي تُفيدُ الاستمرارَ المقتضي للتَّأكيدِ، وثالثُها: صيغةُ المبالغةِ في غفورٍ ورحيمٍ، ورابعُها: الجُملةُ الاسميَّةُ[1].

تعظيمُ معصيةِ الانتصارِ للخائنين

3. أفادت (إنَّ) مع تتابعِ التَّأكيداتِ إقامةَ الواقعِ في معصيةِ الانتصارِ للخائنين مقامَ الإنكار، فكأنَّ الواقعَ فيها في مقامِ المنكرِ؛ لأنْ يغفرَ اللهُ له أو أنْ يرحمَه؛ للإشعارِ بعظَمِ المعصيةِ وهولِها، ليكونَ من إقامةِ الكلامِ على خلافِ مُقتضى الظَّاهر.

التَّلذُّذ بذكرِ الاسمِ الجليلِ تقريبٌ لمغفرةِ اللهِ ورحمتِه

4. وضعُ الظَّاهرِ وهو الاسمُ الجليلُ ﴿ٱللَّهَ﴾ موضعَ المُضمرِ في قولِه تعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾؛ فلَمْ يقلْ: (إنَّه كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا)؛ لتربيةِ المهابةِ، وللتَّلذُّذِ بذكرِه سبحانَه؛ لأنَّه في مقامِ الاستغفارِ المُقتضي طلبَ المغفرةِ والرَّحمةِ.

5. جاء قولُه تعالى: ﴿كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾؛ لإفادة استمرارِ اتِّصافِ اللهِ تعالى بهذين الوصفين الكريمين الجميلين، وظهورِ آثارِهما بين المستغفرينَ وبين النَّاسِ.

6. عبَّر بصيغتي المبالغة ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾؛ للدَّلالة على كثرة مغفرتِه

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/1840.

تعالى وكثرةِ رحمتِه، فهو واسعُ المغفرةِ وواسعُ الرَّحمةِ، فإنَّه يغفرُ الذُّنوبَ صغيرَها وكبيرَها، ويرحمُ جميعَ المستغفرين، ورحمتُه سبقت غضبَه، ولم يقلْ: (غافر أو راحم)، بصيغة اسم الفاعلِ؛ لمناسبةِ المقامِ لمعنى المبالغةِ، وللإشعارِ بعظمِ ذنب المناصرين للخائنين.

الله تعالى يغفرُ الذُّنوبَ جميعها، ويرحمُ جميعَ المستغفرين

7. تضمَّنت جملة التَّذييل الحثَّ على أن يطلبَ النَّاسُ مغفرةَ اللهِ ورحمَتَه، لمجيئها على معنى التَّأكيدِ المُقتضي التَّنبُّه إلى مضمونِ الجملةِ.

8. لمَّا كانتْ جملةُ التَّذييلِ على معنى العمومِ والكلِّيَّةِ؛ كانت بمنزلةِ المَثَلِ في حكايتِها والتَّمثيلِ بها.

المتشابه اللَّفظي:

كلُّ ما ورد في القرآن الكريم عند اجتماعِ الوصفينِ (غَفُور ورَحِيم) هو بتقديم وصفِ المغفرةِ على وصفِ الرَّحمة إلَّا في آيةِ سورةِ سبأ، وقدَّم قولَه: ﴿غَفُورًا﴾ على ﴿رَّحِيمًا﴾ في هذهِ الآيةِ؛ لنكاتٍ هي: لأنَّ المغفرةَ للمكلَّفين منَ البشرِ، وحيثما وردَ ذكرُ المكلَّفين متقدِّمًا؛ تقدَّمَ الغفورُ على الرَّحيم، ولأنَّ المغفرةَ سلامةٌ، والرَّحمةَ غنيمةٌ، والسَّلامةُ مطلوبةٌ قبلَ الغنيمةِ، وللإشعارِ بأنَّ غفرانَ الذُّنوبِ سببٌ لنيلِ رحمتِه تعالى، وللإشارة إلى أنَّ مغفرتَه لعبادِه رحمةٌ منه، وليست عن ضَعفٍ منه، فهو الغَفورُ لعبادِه الرَّحيمُ بهم.

وأمَّا في سورة سبأ؛ فقد قُدِّمَ الرَّحيمُ على الغفورِ في قولِه تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [سبأ: 02]؛ لأنَّ الكلامَ هنا مُنتظِمٌ في سلكِ تعدادِ أصنافِ الخَلقِ منَ المكلَّفينَ وغيرِهمْ، من الحيوانِ والنَّباتِ وغيرِهما، فالرَّحمةُ شَملتهُمْ جميعًا، وللإشارةِ إلى أنَّ كلَّ ما يلجُ، وما يخرجُ، وما ينزلُ، وما يعرُجُ: هو برحمتِه، وَأمَّا الْمغفرَةُ؛ فتَخصُّ بعضًا ممَّنْ يقترفُ الذُّنوبَ منَ المكلَّفين، والعمومُ قبلَ الخصُوصِ بالرُّتبةِ، كما أنَّه إذا اجتمعَ العامُّ والخاصُّ؛ قُدِّمَ العامُّ غالبًا[1].

(1) الزركشي، البرهان: 3/249.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 7 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-59-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 7 : سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-59-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»